

تفسير البغوي

* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَزِي مَسَنِيَ الضرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

قوله عز وجل : (وأيوب إذ نادى رباه) أي دعا رباه ، قال وهب بن منبه : كان أيوب

عليه السلام رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن رازخ بن روم بن عيسى بن إسحاق

بن إبراهيم ، وكانت أمه من أولاد لوط بن هاران ، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط

عليه الدنيا وكانت له البشنية من أرض الشام ، كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف

المال كله من البقر والإبل والغنم والخيول والحرير ما لا يكون لرجل أفضل منه من العدة

والكثرة وكان له خمسة وسبعين فدان يتبعها خمسة وسبعين عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل

آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله عز

وجل أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء وكان براً تقياً رحيمًا بالمساكين يطعم المساكين

ويكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً

لحق الله قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة

والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوا

رجل من أهل اليمن يقال له اليقن ، ورجلان من أهل بلدة يقال لأحدهما يلدد والآخر

صافر و كانوا كهولا وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث

ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات فلما بعث محمد صلى الله عليه

وسلم حجب من الثلاث الباقيه فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاه على أيوب ، وذلك

حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف من السماء

موقعا كان يقفه فقال إلهي نظرت في أمر عبديك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك

وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج

من طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع

إلى الأرض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فإني

قد سلطت على مال أيوب ، وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال

عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار وأحرقت كل

شيء آتي عليه قال له إبليس فأتى الإبل ورعاها فأتى الإبل حين وضع رءوسها وثبتت

في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنو منها أحد

إلا احترق فأحرق الإبل ورعاها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قبيحة على قعود إلى أئيب فوجده قائما يصلي فقال يا أئيب أقبلت نار حتى غشيت إبك فأحرقتها ومن فيها غيري فقال أئيب : الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها وقديما ما وطنت مالي ونفسي على الفناء فقال إبليس فإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت فترك الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أئيب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان الله أئيب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع [ولية] ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه قال أئيب : الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر إلى الله ليس لك أن تفرح حين أغارك وتتجزع حين قبض عاريته منك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرك فرجع إبليس إلى أصحابه [خائبا] خاسدا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة؟ فإني لم أكلم قلبه؟ قال عفريت عندي من القوة ما شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه فقال إبليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى

توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتا عن آخرها ومات رعاؤها ثم جاء إبليس متمثلا بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الأول فرد عليه أيوب مثل الرد الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب ، فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت رحبا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه قال فأت الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلا بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل القول الأول فرد عليه أيوب مثل رده الأول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي منه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله صعد [إلى السماء] فقال إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بولده فأنت معطيه المال فهل مسلطي على ولده فإنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يرثب بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح جدره بعضها بعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى إذا مثل بهم كل مثلا رفع القصر

فقلبه فصاروا منكسين وانطلق إلى أیوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مخدوش الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره ، وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على رءوسهم تسيل دماءهم ودماغهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أیوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ليت أمي لم تلدني فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أیوب مسروراً به ثم لم يلبث أیوب أن فاء وأبصر واستغفر وصعد قرناوه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم فوقف إبليس ذليلاً فقال يا إلهي إنما هون على أیوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده؟ فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء للثواب فانقض عدو الله سريعاً فوجد أیوب ساجداً فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجده فنفح في منخره نفحة اشتعل منها [جمیع]

جسده فخرج من قرنه إلى قدمه تأليل مثل أليات الغنم فوقدت فيه حكمة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحکها حتى نغل لحمه وتقطع وتغير وأتن وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كنasse وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت أفراثيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمته فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم يقين ويحدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكتوه ولا موه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به ، قال وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم إنكم تكلمتم أيها الكهول وكتمتكم أحق بالكلام مني لأنسانكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لأبيه عليكم من الحق والذمم أفضل من الذي وصفتم فهل تدرؤن أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ، ومن الرجل الذي عبتم واتهتم ؟ ألم تعلموا أن أبيه نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه

قد سخط عليه شيئاً من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي أزى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن [يعدل] [أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعييه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويذكر معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويذله على مرشد أمره وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عباداً أسكنتهم خشية من غير عي ولا بكم وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النباء الآباء العالمون بالله ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً وإجلالاً لله عز وجل فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الذاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين

والخاطئين وإنهم لأبرار براء و مع المقصرين والمفرطين وإنهم لأكياس أقواء فقال أیوب

: إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى نبت في القلب

يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا

جعل الله العبد حكيمًا في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه

عليه نور الكرامة ثم أعرض عنهم أیوب وأقبل على ربه مستغثا به متضرعا إليه فقال رب

لأي شيء خلقتني إذ كرهتني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل

الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عنِّي لو كنت أمني فألحقتني يا أبي الكرام فالموت

كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتيتيم ولها وللأرملة قيما إلهي أنا

عبدك إن أحنت فالمن لك وإن أساءت فيدك عقوبتي جعلتني عرضا وللفترة نصبا وقد

وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو

الذي أذني وإن سلطانك هو الذي أسمعني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في

صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بماء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت

أن يعافيني عند ذلك مما ي و لكنه ألقاني وتعالي عنِّي فهو يرانِي ولا أراه ويسمعني ولا

أسمعه لا نظر إلى فيرحمني ولا دنا مني ولا أدناي فأدلي بعذرني وأتكلم ببراءتي وأخاصم

عن نفسي فلما قال ذلك أیوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم

ثم نودي يا أیوب إن الله عز وجل يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فأدل

بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزررك وقم مقام جبار يخاصم جbara إن

استطعت فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا أیوب أمراً ما تبلغ

بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معني تمد

بأطرافها؟ وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكناها؟ أبطأعتك حمل

الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء

سقفاً في الهواء لا تعلق بتعليقها ولا يقلها دعم من تحتها حتى تبلغ من حكمتك أن

تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبت الأنهار

وسكرت البحار أسلطانك حبس أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام

حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل

تدري على أي شيء أرسيتها؟ وبأي مثقال وزتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل

تدری من أین الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدری من أي شيء أنشيء السحاب؟ أم هل تدری أين خزائن الثلوج؟ أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار [وخزانة النهار بالليل] ؟ وأين خزانة الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجوف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهراً الجبارين بجبروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأبيه ، فقال أبيه : صغر شأنی وكل لساني وعقلی ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض لي يا إلهي قد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبر حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء ، يا إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وغضبت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعود بكاليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فأغثني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل

عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفر لك فلن أعود لشيء تكرهه مني قال

الله تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك وردت عليك

أهلك ومالي ومثلهم معهم لتكون لمن خلقت آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين

فاركتض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاوك وقرب عن أصحابك قربانا فاستغفر

لهم فإنهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب

الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم

تجده فقامت كالوالهة متربدة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان

ها هنا؟ قال لها هل تعرفيه إذا رأيته؟ قالت نعم وما لي لا أعرفه فتبسم وقال أنا هو فعرفته

بضحكه فاعتنقه . قال ابن عباس : فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عنقه حتى

مر بهما كل مال لهما وولد . فذلك قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر)

واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله إني مسني الضر وفي مدة بلائه روى ابن

شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثمانية عشرة سنة . وقال وهب : لبث أيوب

في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما . وقال كعب : كان أيوب في بلائه سبع سنين وبسبعين

أشهر وسبعة أيام .وقال الحسن : مكث أئيب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل

سبعين سنين وأشهرها تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وتأنيه

بطعام وتحمد الله معه إذا حمد وأئيب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على

ابتلائه فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا له

حزنك؟ قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزد إلا صبرا ثم سلطت

على جسده فتركته قرحة ملقة على كناسة لا يقربه إلا امرأته فاستعنت بكم لتعييني عليه

فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال : بطل ذلك كله في أئيب فأشاروا

عليه قالوا نشير عليك من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال من قبل امرأته قالوا

فشأنك بأئيب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال :

أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة

الله؟ قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن تكون

كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أئيب

وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا ، قال الحسن فصرخت فلما

صرخت علم أَنْ قد جزعت فأتاها سخلة وقال ليذبح هذه لي أَيُوب وبيرأ فجاءت تصرخ

يا أَيُوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين

جسمك [الحسن] اذبح هذه السخلة واستريح قال أَيُوب أَتاك عدو الله ففخ فيك ويلك

أَرَأَيْتَ مَا تبكيْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالصَّحَّةِ مِنْ أَعْطَانِيْهِ؟ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَكُمْ مَتَعْنَا بِهِ؟

قالت ثمانين سنة ، قال فمنذ كم ابتلانا؟ قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنت صفت

ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله

لأجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به على حرام]

أو حرام علي [أَنْ أَذُوقْ شَيْئاً مِمَّا تَأْتَيْنِيْ بِهِ بَعْدَ إِذْ قَلْتَ لِيْ هَذَا ، فَاغْرَيْتَنِيْ عَنِيْ فَلَا أَرَاكَ

فطردها فذهبت فلما نظر أَيُوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال

رب (إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك

اركض برجلك فركض برجله فنبعث عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر

إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعث عين أخرى فشرب

منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حالة ، قال فجعل يلتفت فلا يرى

شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي

اغتسل منه تطوير على صدره جرada من ذهب فجعل يضمها بيده فأوحى الله إليه يا أيوب

ألم أغنك؟ قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان

مشرف ثم إن امرأته قالت أرأيتك إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً ويضيع

فأكله السباع لأرجعن إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت فإذا الأمور قد تغيرت

فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وت بكى وذلك بعين أيوب ، وهاب صاحب الحلة أن

تأتيه فتسأله عنه فدعاهما أيوب فقال ما تريدين يا أمة الله فبكى وقالت أردت ذلك المبتلى

الذى كان منبذا على الكناسة لا أدرى أضاع أم ما فعل فقال أيوب : ما كان منك فبكى

وقالت بعلي ، قال فهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت

تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً قال فإني أنا أيوب

الذى أمرتني أن أذبح لإبليس وإنى أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه

فرد علي ما ترين .وقال وهم : لبث أيوب في البلاء ثلاثة سنين فلما غالب أيوب إبليس

ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست ك الهيئة بني آدم في العظم والجسم

والجمال على مركب ليس [من] مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت نعم قال فهل تعرفيني؟ قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي ثم أراها إياهم يبطن الوادي الذي لقيها فيه قال وهب : وقد سمعت أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم وفي بعض الكتب إن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها [وما أراها] قال لقد أتاك عدو الله ليختبرك عن دينك ثم أقسم [إن عافاه الله] ليضرنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له ودعاه إياها وإياي إلى الكفر ثم إن الله عز وجل رحم [رحمة] امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبريمين أيوب ، فأمره أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضرنها به ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيده ضغثاً فاضرب به ولا تحنث (ص : 44) ، وروي أن إبليس اتخذ تابوتاً وجعل فيه

أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب فقالت [يا شيخ] إن لي

مريضاً أفتداويه؟ قال نعم [والله] لا أريد شيئاً إلا أن يقول إذا شفيته أنت شفيتني فذكرت

ذلك لأيوب فقال هو إبليس قد خدعك وحلف إن شفاه الله أن يضرها مائة جلدة . وقال

وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيء بقوته فلما طال عليه البلاء وسئلها الناس

فلم يستعملها أحد التماس لها يوماً من الأيام ما تطعنه فما وجدت شيئاً فجزت قرناً من

رأسها فباعته برغيف فأته بها فقال لها أين قرنك؟ فأخبرته فحينئذ قال (مبني الضر) وقال

قوم إنما قال ذلك حين قصدت الدود إلى قلبه ولسانه فخشى أن يفتر عن الذكر

والفكروقال حبيب بن أبي ثابت : لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء

أحدها قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق له إلا عيناه ورأياً أمراً

عظيمًا فقلالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طلبت طعاماً فلم

تجد ما تطعنه فباعت ذؤابتها وحملت إليها طعاماً والثالث قول إبليس إني أدوائي على أن

يقول أنت شفيتني وقيل إن إبليس وسوس إليه أن امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل

صبره فدعا وحلف ليضرنها مائة جلدة . وقيل معناه مبني الضر من شمائل الأعداء حتى

روي أنه قيل له [بعدهما عوفي] ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء . وقيل
قال ذلك حين وقعت دودة من فخذها إلى موضعها و قال كلي : فقد جعلني الله
طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان فإن قيل إن الله
سماه صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله : (إني مسني الضر) و (مسني الشيطان
بنصب) (ص 41) ، قيل ليس هذا شكایة إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجينا
له) على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا
يكون جزا ولا ترك صبر كما قال يعقوب : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) (يوسف
86) . قال سفيان بن عيينة : وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله
لا يكون ذلك جزا كما روی أن جبريل دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
فقال كيف تجدر ؟ قال " أجدني مغموما وأجدني مكروبا ". وقال لعائشة حين قالت
وارأساه ، " بل أنا وارأساه " .